بسم الله الرحمن الرحيم

في الحقيقة أننا نحاول في هذا العصر أن نعود بالإسلام وأهله إلى عصوره الزاهرة الأولى التي كان عليها الحبيب صلى الله عليه وسلَّم وصحبه، لأنه كانت عصور إشتدَّ فيها الظلام وانتشر الجهل فتفشَّت أعراف وعادات نسبها الناس للإسلام ظلماً وبهتاناً والإسلام منها بريء، فنحن نحاول أن نعيد هذا الصفاء الأول للصوفية على النهج الذي كان عليه الحبيب الأعظم.

فالصوفية والتصوف منهج علم وعمل، محاضراتٌ نظرية ثم يدخل الإنسان بذاته في ورشة عملية يراه و يطلع فيها إ ربُّ البرية، لكي يتجمل بهذه الأحوال، وتظهر عليه كريم الخصال، وينبجس في قلبه عينٌ تأتيه منها الفوائد والغرائب والمواهب من الواحد المتعال عزَّ وجلَّ، وهذا هو منهج الصوفية، وهم أشد الناس إلتزاماً بهذا المنهج.

جدَّ على الناس في الأزمان الماضية أن جعلوا التصوف إنتساب أو إكتساب، فينتسب لشيخ وانتهى الأمر عند هذا الحد، فيقول من حوله ويشجعه على ذلك: حب الشيخ فلان ونام، وبمحبته إن شاء الله تضمن الجنة. فنحن جميعاً نحب حضرة النبي والذي هو أبو هؤ ء المشايخ كلهم فهل يكفينا ذلك؟!!. وبعض الناس جعلوه حرفة للتكسب والإكتساب وإبتزاز الناس واستلاب أموالهم وهذا يُرضي الله عزَّ وجلَّ.

فنريد أن نعيد التصوف مرةً ثانية للمنهج الأول، فجعلناه جامعة للدراسات العُليا الصوفية، وهي جامعتنا، فمن يُريد أن ينتسب للصوفية ويتخلى ظاهراً وباطناً عن أخلاقهم وأحوالهم وأفعالهم فلا ينفع ذلك في منهجنا، فمنهجنا يحتاج إلى علم وعمل، والعشوائية تُنتج حتى في النباتات البرية، النبات الذي يزرعه المرء منا ويعتني به فيكون له ثمرٌ، والنبتة التي تخرج عشوائياً فهل يكون لها ثمر؟ فيسمونه: شيطاني!! حتى أجدادنا قالوا فيه: أن هذا النبات شيطاني، أى ليس له ثمر نهائياً إ أن يكون منه الشوك فيشوّك الناس، وهذا معنى أنه شيطاني، فلا يوجد شئٌ ينتفع به فلا يُؤكل و ينتفع به في خشب و تصنيع و أى شيء.

وكثير من الناس في زمننا هذا يقول: ولماذا أذهب إلى الشيخ وأتربَّى على يديه؟ فأنا أدور حول الكل وأُحب الكل وانتهى الأمر، وماذا فيها؟ شئ، ولكن ستكون كالنبات الذي خرج عشوائياً وليس له صاحب، ولذلك يظل يدور ثلاثين سنة أو خمسين سنة فما الذي حصَّله في طريق الوصال؟ شئ، وما الذي ناله من حضرات الفضل والكمال؟ شئ، يجلس لحِظِّ نفسه قليلاً، أى يجلس في أي مكان لينال ويجد حظَّ نفسه، ولكن حظَّ قلبه يحتاج إلى إنتماء وصفاء واجتباء وتربية على منهج سيد الرسل والأنبياء، وهذا الذي : (ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (٣٥فصلت).

فنحن نسير مع الأحبة – لتنتبهوا لمنهج الحبيب صلى الله عليه وسلَّم، والحبيب يحب العمل العشوائي، كل شئ عنده بميزان معلوم وبقدرٍ محدود، وبتخطيط دقيق مع الإستعانة بالتوفيق من الله عزَّ وجلَّ. فلو أن واحداً يمشي عشوائياً، وليس ملتزماً بمناهج الصالحين، فلن يُحصِّل ولن ينال المواهب والمنح الإلهية التي خ ّ الله بها أهل الخصوصية من الصالحين.

لكننا نسير والحمد لله مع الأحباب على المنهج، وخير المنهج أننا ننظر في كتاب الله ونفقهه، ثم نحاول أن نعمل به متابعين لحبيب الله ومصطفاه، أو متشبهين بالصحابة الكرام عليهم رضوان الله، والأولياء الصالحين الذين نرجوا أن يُدخلنا الله عزَّ وجلَّ في رحابهم، وأن يجمِّلنا بجمال أحوالهم.

تفسير القرآن الكريم على الترتيب يحتاج أهل الدراسة، لأن فيه التشريع، وفيه قصـ الأنبياء، وأيضاً عن الدار الآخرة وكذلك عن العاقبة وهكذا. لكن أهل الوراثة ليسوا كذلك، ينتقي من كتاب الله ما به يتحقق كمال التحقُق بالمنهج الذي يصل به إلى الله جل في علاه.

فنحن – على سبيل المثال: ينبغي على طالب الله عزَّ وجلَّ أن يكون مجملاً بالآداب الإلهية التي أوجبها الله علينا للحضرة المحمدية، وقد أخذنا الآيات القرآنية بترتيب المصحف والتي تتكلم عن الأدب مع الحقيقة المحمدية، وبسَّطناها ووضحناها للأحبة، أليس كذلك؟!!، وهذا منهج نمشي عليه. فلو سأل سائل: من أين أتيت بهذا الأدب؟، نقول: من كتاب الله ولم نخترع شيئاً، كتاب الله هو الذي قال بهذا.

نريد أنا نُعلي الهمم ونُقوي العزائم ونستثير القلوب لتتحرك نحو حضرة علام الغيوب، ماذا نفعل؟!! نأخذ آيات المقربين في كتاب ربِّ العالمين، الآيات التي تتكلم عمَّن؟ عن المقربين، والتي فيها الجماعة: (الذين خوفٌ عليهم و هم يحزنون)، والتي فيها الجماعة: (أهل الرضوان الأكبر)، والتي فيها الجماعة: (أهل المعية مع الحضرة المحمدية)، وهكذا؛ أخذناها بترتيب المصحف حتى نُنهي العشوائية الموجودة بين السادة الصوفية، لأنهم يقولون أن الشيخ الموجود يتكلم بكلمة من هنا وكلمة من هناك وانتهى الأمر، ولكننا نتبع منهج إقامة الحُجَّة، من أجل ذلك نأخذ في كل سهرة آية من آيات المقربين.

في محافظة المنيا أو ً – أخذنا الآيات التي في سورة البقرة، وهذه السنة الآيات التي في سورة آل عمران والنساء، وسنفتتح عندكم من أول سورة المائدة والأعراف. فننتقي الآيات التي تتكلم عن المقربين وأحوالهم وأطوارهم وما لهم عند الله، على أساس أنها الأحوال التي يجب أن تعرفها وتبحث عنها وتحاول أن تعمل بها وتتجمل بها إن شاء الله. عندنا اليوم آية واحدة فقط، نسمعها معاً سوياً (٣٥المائدة):

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

الآيات أرسلناها لكم وحددناها لكم، وأرسلناها منذ شهر ليستعد بها القارئ ويجوِّدها ويتلوها كما ينبغي، والزيارة القادمة ستكون في إسنا وأتينا بالآيات من الآن حتى يستعدوا من الآن بأحدٍ من القُرَّاء، وكل واحد يقرأ هذه الآيات بالصوت النديّ ونشرحها بما يفتح به الله عزَّ وجلَّ. الآية التي عندنا اليوم باختصار شديد وبدون تفصيل، خطابٌ من الله لنا جماعة المؤمنين وللمؤمنين الأولين والآخرين والمعاصرين:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٣٥المائدة)

وكلمة (لَعَلَّ) في القرآن كله ليست بمعنى الترجّي، ولكن بمعنى اللام، فتكون الآية: {وجاهدوا في سبيله لتفلحوا}، أو {لتكونوا من المفلحين}. والفلاح هو الفوز الأعظم بالنعيم الأكرم الذي جهَّزه الله عزَّ وجلَّ لعباده الصالحين إن عاجلاً في الدنيا أو آجلاً في الآخرة يوم الدِّين، والذي يقول فيه صلى الله عليه وسلَّم: (إن الله الله أعدَّ لعباده الصالحين في الجنة ما عينٌ رأت و أُذنٌ سمعت و خطر على قلب بشر)[١].

كل روحٍ تقية نقية وتهفو إلى نعيم الله، وإلى إكرامات الله، وإلى عطاءات الله التي أعدَّها للصالحين في الدنيا ويوم الدين، فنحن جميعاً نريد أن نكون من أهل هذا المقام: (من المفلحين). ولكي نكون من المفلحين، ومن يريد

١ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ.

أن يكون من المفلحين ماذا يلزمه؟ أربع أمور وضحتهم الآية: الإيمان، وتقوى الله عزَّ وجلَّ، وإبتغاء – يعني: طلب – الوسيلة، والجهاد. والآية في كتاب الله لمن؟ لنا جماعة المؤمنين ولكي يكون الإنسان قد فاز وجاز ويُصبح من المفلحين بيقين بد وأن نعمل بهذه الأربع:

أو ً: الإيمان الصادق الذي يشير إليه الحبيب صلى الله عليه وسلَّم فيقول: (ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل)[٢]. ولذلك تجد دائماً في كتاب الله الإيمان مقرونٌ بالعمل الصالح: (إ الَّذِينَ آَمَنُوا) – وعلى الفور – (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (٢٢٧الشعراء). لأن الإيمان دعوى، والدعوى تحتاج إلى حُجَّة أو برهانٌ على صدق هذه الدعوى، والبرهان هو العمل بما طالب الله عزَّ وجلَّ في قرآنه والنبي في سنته أهل الإيمان.

أما من يدعي الإيمان و يطبق ذلك عملاً ويُسوِّف – إن شاء الله في المستقبل سأفعل كذا – أو يؤخِّر، فهذا تخدعه النفسُ أو يستهزئ به الشيطان، ولذك أكمل صلى الله عليه وسلَّم الحديث فقال: (وإن قوماً خدعتهم الأماني، وغرَّهم بالله الغرور، وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)[٣].

فعلامة صدق الإيمان العمل الصالح، وبين النبي صلى الله عليه وسلَّم لأهل الصدق في الإيمان في إحدى المواقف علامات صدق الإيمان، فقال لقومٍ من الصادقين: (أمؤمنون أنتم؟، قالوا: نعم يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلَّم: وما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء، ونشكر على الرخاء، ونصدق عند اللقاء – يعني: عند مقابلة الأعداء – فقال صلى الله عليه وسلَّم: مؤمنون وربُ الكعبة)[٤].

لماذا؟ لأنهم أثبتوا حقيقة الإيمان. وهذه منزلة، وبيَّن صاحب المنزلة الأعلى، فقال لحارثة الأنصاري ﷺ ذات صباح: (كيف أصبحت يا حارثة؟، قال: أصبحت مؤمناً حقًّا، قال: فإن لكل قولٍ حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ – وهذا هو منهج الصالحين، والذي وضعه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلَّم، وإذا طبقَّت هذه الأوصاف التي ذكرها الحبيب على رجلٍ ولم تجدها فيه فاعلم أنه لم يتم له المراد ويحتاج إلى إعادة الكرَّة وبدأ الطريق من البداية.

قال: فما حقيقة إيمانك – عدُّوا معي: قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وأصبحتُ وكأني أرى أهل الجنة وهم يتزارون فيها، وكأني أرى أهل النار وهم يتعوون ويصطرخون فيها، وكأني أرى عرش ربي بارزاً، فقال صلى الله عليه وسلَّم ـ مقرّاً له على منهجه: عرفت فالزم، ثم إلتفت إلى من حوله وقال: عبدٌ نوَّر الله بالإيمان قلبه)[٥].

هذا هو منهج الصالحين، من الذي رسم هذا المنهج لهذا الرجل؟ هو ـ بد لكل واحد أن يرسم لنفسه منهجاً: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (٤٨المائدة).

هناك الشريعة وهناك منهاج، فالشريعة هي الأحكام التي بينك وبين الخلق، وبينك بين نفسك، وبينك وبين ربك، وهي تنظم الحياة وفيها رضا الله. لكن المنهاج الذي فيه الصفاء والنقاء لتلقي المنح الإلهية والعطاءات الربانية

---

٢ ابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن البصري ﷺ.

٣ روى ابن النجار عن الحسن البصري عن أنس بلفظ: (لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَ بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ، الْعِلْمُ عِلْمٌ بِاللِّسَانِ، وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَأَمَّا عِلْمُ الْقَلْبِ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمُ اللِّسَانِ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى بَنِي آدَمَ).

٤ أمالي بن بشران عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ بلفظ : (مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَلَمَّا قَامَ بِالْبَابِ إِذَا الأَنْصَارُ جُلُوسٌ فِيهِ، فَقَالَ: أَمُؤْمِنُونَ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، ثُمَّ أَعَادَهَا، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَمُؤْمِنُونَ وَإِنَّا لَمَعَهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرْضَوْنَ بِالْقَضَاءِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَصْبِرُونَ عَلَى الْبَلاءِ؟، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَشْكُرُونَ فِي الرَّخَاءِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَجَلَسَ) .

٥ مسند البزار، ومسند الشهاب عن أنس ﷺ.

الخاصة بأهل الخصوصية.

أول المنهاج: (عزفت نفسي عن الدنيا) . وهو ما نسميه بالزُهد، الزهد في الدنيا، رجلٌ يسأل حضرة النبي: أنا أريد أن ربنا يُحبني والناس كذلك يحبوني فماذا أفعل؟ يريد السبيل، فقال صلى الله عليه وسلَّم: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)[٦]. وهذه أول درجة في المنهج: الزُهد، والزهد ليس في اليدين ولكن الزهد هنا في القلوب، ومن ليس عنده شئ يقول: أنا زاهد، ففي أى شئ تزهد؟ وهل عندك شئٌ تزهد فيه؟!!. الزاهد هو الذي يملك الأشياء، و تملك الأشياء قلبه، وإنما يضعها في يده ويُصرفِّها كما أراد ربه، لكن إذا دخلت القلب وسكنت وتمكنت وأصبحت تُحرِكِّه وتسيِّره وتأمره وتنهاه، فيكون عبداً لها وليس عبداً لله.

(عزفت نفسي عن الدنيا)، وبعد ذلك ما العمل؟ قيام الليل وصيام النهار - أسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري - والذكر الحقيقي، وهو ذكر العارفين. الذكر الذي نفعله مع بعضنا في صفوف ونحرِّك اللسان ذكر المبتدئين أو قل: ذكر السالكين، أو قل:ذكر المريدين، لكن ما ذكر الصالحين؟ أن يغيب عن خاطره نفساً نظر الله إليه، يرى في كل آناته وكل أحواله أن الله يطلع عليه ظاهراً وباطناً، و يخفى عليه خافية.

إذا وصل العبد إلى هذا المقام فهذا اسمه: الذكر الأكبر لله عزَّ وجلَّ، لكن الذي نفعله فهذا تمرين على الذكر وتدريب وتسخين لنذكر الله، لكن لم ندخل المباراة بعد، فهي تحتاج إلى لياقة أخرى.

فحقيقة الذاكر لله أن يغيب الله عن بال العبد طرفة عينٍ و أقل، وأن يلحظ على الدوام أن الله مطلعٌ عليه ويراه، وأنه سبحانه وتعالى يعلم سرَّه ونجواه، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي تنكشف له جميع أحواله الظاهرة والباطنة وإن اجتهد في إخفائها عن خلقة الله جميعاً.

كل هذا في مقام الإيمان، ولكننا نريد أن ننتقل بسرعة. فالإيمان بد له من العمل الممنهج على منهج شريعة الله، وعلى وفق سنة حبيب الله ومصطفاه، وعلى التأسي بالصحابة الأفاضل الكرام ومن بعدهم من الصالحين على الدوام.

وبعد هذا الإيمان يطالبنا الحق فيقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ). ويريد أيضاً مقام التقوى، وتقوى الله في حقيقتها هي شدةُ الخوف والوجل الذي ينتاب القلب فيجعل صاحبه يخشي أن يقع في الذنوب والآثام، ويرتجع إن عُرِض عليه شئٌ من الحرام، ويتوقَّف إذا زلف لسانه وخاض في حقِ رجلٍ من الأنام، يجعل الإنسان يمشي على المنهاج القويم والطريق المستقيم.

التقوى الكلام فيها كثير، وهي درجات ليس لها عدٌّ و حصر، منها من قال فيها الإمام عليّ: (هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والإستعداد ليوم الرحيل). ومنها ما قال فيها الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلَّم عندما سُئل عن قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) (١٠٢آل عمران). وقال صلى الله عليه وسلَّم عندما سُئل عن حق التقوى: (أن تذكره فلا تنساه، وأن تطيعه فلا تعصاه، وأن تشكره فلا تكفر نعماه)[٧].

ينسي الله طرفة عين، كالرجل الصالح الشيخ الجنيد عندما جاءه أمر الله، وآن أوان قرب خروج روحه، فمن كان حوله قالوا له: أُذكر الله، فقال لهم: وهل نسيته حتى أذكره؟!!، هل نسيته لأذكره؟ فلم أنساه طرفة عين و أقل من ذلك، ثم ناجى الحضرة الإلهية فقال:

٦ رواه ابن ماجة وغيره عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

٧ ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

إن بيتاً أنت ســـاكنه غير محتاجٍ إلى السُـرجِ
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحُججِ

يقول له: أنه ساكن بداخله، والرجل الآخر الذي يذكر الله ويقول له:

ذكرتك أني نسيتك لمحةً وأهون ما في الذكر ذكر لساني

ذكر اللسان سهل، وأنا لم أذكرك لأني نسيتك، أنا أتلذذ بهذا الإسم!!، بالترنم به والتغني به لأنه إسمٌ المحبوب الأعظم وهو الله عزَّ وجلَّ.

والتقوى هي الحبل الأقوى الذي يجب على كل مؤمن أن يسعى لبلوغه، لأن بها الدرجات في الجنات، وبها العروج إلى أعلى مقامات الكما ت، وبها الحصول على كل المُنى من العطاءات والهِبات، فإن الله عزَّ وجلَّ وضع الميزان في كل وقتٍ وآن قال لعباد الرحمن: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (١٣الحجرات).

ولم يقل: التقي، فلو قال التقي لكانت التقوى شئٌ ثابت، ولكنه قال: (أتقاكم)، بصيغة المبالغة، يعني هناك تفاوتٌ في التُقى، فكلما زاد في التُقى كلما زاد في التكريم من الكريم عز وجلَّ. وكما أنه نهاية لعظمة الله عز وجل و لسعة عطاء الله، فلا نهاية للتقوى التي يرجو أن ينالها عباد الله، ناهيك بقول الله لأتقى الأتقياء وأنقى الأنقياء: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ) (١الأحزاب). ولكنها تقوى غير تقوانا نحن، والكلام فيها يُباح إ إذا مُلكت الأرواح.

فالإيمان والتقوى، ومع الإيمان والتقوى لكي ينال الإنسان الفلاح بد أن يطلب الوسيلة للقرب من الله عز وجلَّ: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) (٣٥المائدة).

والوسيلة الجماعة المفسرون والمئولون قالوا فيها كلاماً كثيراً، لكن الوسيلة عند المريدين والسالكين في رأي جملة الصالحين: هي العارفين المتمكنين الذين أقامهم ربُّ العالمين لد لة الخلق عليه. والوسيلة لكُمَّل العارفين وأئمة المتقين هو الحبيب الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

أما بالنسبة للأقوال الأخرى أن الوسيلة هي العمل الصالح، فالإيمان معه العمل الصالح، والتقوى معها العمل الصالح، لكن ربنا يقول: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ) – عزَّ وجلَّ لتحظوا بالقبول، وتنالوا الوصول، وتُأهلوا للدرجات العالية، بد أن تدخلوا عليه بالصادقين الذي آواهم إلى حضرته وكنفهم بعنايته، وجعلهم في الدنيا أبواباً لأهل قربه ومودته، وفيهم يقول الله: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) (١٨٩البقرة).

وهناك حديث للحبيب صلى الله عليه وسلَّم عندما سأله بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله أين الله؟ أفي السماء أم في الأرض؟ فقال صلى الله عليه وسلَّم: (في قلوب عباده الصالحين)[٨]. وعندما سأله كليم الله موسى عليه السلام: يا رب أين أجدك؟ قال: (تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي)[٩].

فإن الله عزَّ وجلَّ إستودع أعزَّ ودائعه وأغلى أماناته في قلوب عباده الصالحين، فما وجد عز وجل مكاناً أمنع من الأهواء ومن النفوس ووساوس الشيطان إ قلوب الصالحين التي حفظها بحفظه ربُّ العالمين، وقال في شأنها: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) (٤٢الحجر). ولذلك كان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وغيره من الصالحين، كان يقول لأصحابه: (توسلوا إلى الله عزَّ وجلَّ بي).

٨ روى الطبراني عن أبي عنبة الخو ني يرفعه إلى النبي ﷺ قال: (إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها)، وروى أحمد في الزهد عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الأَرْضِ آنِيَةٌ وَأَحَبُّ آنِيَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ مَا رَقَّ مِنْهَا وَصَفَا ، وَآنِيَةُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ .

٩ قَالَ السَّخَاوِيُّ :ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ فِي الْبِدَايَةِ، ورواه ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة.

وبعضهم قال: الوسيلة هي اسم الله الأعظم الذي دُعي به أجاب، وقال سيدي الحسن البصري ﷺ وكان قطب وقته وزمانه عندما سُئل عن اسم الله الأعظم: (أنا اسم الله الأعظم، فمن توسَّل إلى الله بي نال مراده وحقق الله عز وجل له آماله).

فالتوسل إلى الله بالصالحين يكون باقتفاء أثارهم والمشي على هديهم وحُسن متابعتهم والتحلِّي بشمائلهم وجميل أخلاقهم، لأنهم اقتدوا واهتدوا بسيد الأولين والآخرين فأصبحوا هم الصورة القريبة التي أستطيع التشبه بها لأنال القرب من رب العالين، وأكون صورة مجملة على قدري من سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلَّم.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

****